تمظهرات الخطاب الديني في رواية غربة الياسمين لخولة حمدي

The simulations of Religious Discourse in Novel of khawla Hamdi entitled* Ghorbat el Yasmine*

الدكتورة: بختة عزوزي[1]*

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، bakhtaz.azzouzi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/05 تاريخ القبول: 2021/08/23 تاريخ النشر: 2021/08/31

ملخص:

تعدّ الرواية من الفنون السردية التي تزاوج بين: (التاريخي ،الديني، الفلسفي، السياسي، الاجتماعي، والاقتصادي)، ويمكنها أن تجمع لغات متنوعة ولهجات عديدة، وأعراق وأجناس مختلفة، ولها مقدرة على تناول المغيب والمنسي والمحظور والممنوع وتساءله وتحاوره، وهذا ما أتاح لها أن تتضمن نصوص عدة، وخطابات متنوعة، ومن أهم الخطابات المتجلية في الرواية العربية المعاصرة(الخطاب الديني)، والذي يعدّ من الرهانات الجديدة التي صارت تخوضها بطريقة مباشرة أو خفية، ولقد انعكس هذا في أعمال عديدة ومن أهمها:(غربة الياسمين) للروائية التونسية (خولة حمدي) حيث تمكنت من خلالها أن تثير المتلقي وتجعله يتخطى الحدود الجغرافية والمكانية للعالم الإسلامي المتوقعة والمألوفة، ليعيش في مكان روايتها (فرنسا)، وتنقل لنا نماذج من الصراع الديني والطائفي، وبعض معاناة المسلمين هناك، وفتحت الرواية الباب على مصراعيه لتجسيد البعض من (جمالية الخطاب الديني)،وتسعى هذه الدراسة للوقوف على جمالية تجليات الخطاب الديني في الرواية التي تناولت الصراع الديني، ودعوة إلى التعايش الديني من خلال تبيين جوهر الدين الإسلامي ومرونته الصالحة لكل زمان ومكان،

* المؤلف المرسل.

وكيفية تعايش المسلم مع الآخر دون الاندماج فيه. **كلمات مفتاحية:** الرواية العربية، جمالية الخطاب الديني، غربة الياسمين، خولة حمدي، الصراع الديني.

كلمات مفتاحية: الرواية العربية، جمالية الخطاب الديني، غربة الياسمين، خولة حمدي، الصراع الديني.

Abstract:

The novel is considered as one of the narrative arts (modern and contemporary) that combines history, religion, philosophy, politics, society, and economics. It can gather diverse languages and dialects, as well as different races. It has the ability to address the hidden , forgotten, and forbidden as well as ask questions and make dialogues .

This allowed it to include different texts and discourse.

One of the most relevant discourses in the contemporary Arabic novel is the religious discourse; it is one of the new bets that the novel goes through in a direct or hidden ways. It has influenced many novels such as Ghorbat el Yasmine , written by the Tunisian novelist « Khawla Hamdi »who managed to attract the recipient and make him transcend the geographical and spatial boundaries of the Islamic world, as well as the expected and familiar borders in order to live the place (France) in her novel. She reported examples of religious and sectarian conflict, and some of the sufferance of the Muslim minorities there. Her novel opened the door for its shutter to embody some of the aesthetic of religious discourse. The present study seeks to stand up at the aesthetics of religious discourse in the novel that tackled the religious conflict and the call for religious coexistence by showing the essence of Islamic Religion and flexibility in terms of time and place, and the way Muslims coexist with the other without merging with them.

Keywords: Arabic Novel, the aesthetics of Religious Discourse, Ghorbat el Yasmine, khawla Hamdi , religious conflict

1. مقدمة:

خضعت الرواية المعاصرة لتطورات عديدة سمحت لها أنّ تكون من أهم الأجناس السردية مرونة وقدرة على تكييف خطابات شتى في ثناياها، وهذا بفضل ميزتها الامتصاصية والتحويلية التي سمحت لها بانفتاحها على مختلف الألوان والأجناس والفنون الأدبية، فهي حسب بعض النقاد "جنس عابر للأجناس بما انضوى عليه شكلها الفني من قدرة فائقة على التبدل والاحتواء" (علقم، 2006، صفحة 8) وهذا الانفتاح الذي عرفته الرواية هو الذي أتاح لها التشبع بعلوم عديدة، وضم العديد من وجهات النظر (الإيجابية والسلبية، المتطرفة والوسطية)، وذلك عن طريق مهارة الروائي في تكييفها مع معطياته السردية واستثمار خاصية التخييل الخاصة بها.

ولهذا تم وصفها بأنّها قادرة على أن تتخذ لنفسها ألف وجه، وترتدي ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ (المتلقي) تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا لأنّنا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصميمة" (مرتاض، 1990 ، صفحة 19) فالرواية كباقي الأجناس الأدبية الأخرى سمحت لنفسها بالانفتاح على غيرها واستثمار بعض خصائصها ومميزاتها ولكن دون أن تفقد خاصيتها الذاتية.

وبهذا يمكن القول بأنّ الرواية قد استمدت سماتها السردية من روافد مختلفة ومن أهم هذه الروافد: (الرافد الديني) حيث يعدّ لبنة أساسية ومنشط فعال لمعظم المتون الروائية، فيقوم الروائي بامتصاص (خصائصه سماته، شخصياته، أقواله، وأسلوبه، واستحضار أشكاله المختلفة والمتنوعة)، ولكن هذا الاستحضار ليس بطريقة استهلاكية واعتيادية، وإنّما خاضع لتقنيات الرواية، ومقدرة عالية على فتح الباب للمساءلة والحوار في متن الرواية عن طريق أحداثها أو شخوصها و بطريقة استفزازية و إثارية للمتلقي.

وبهذه الطريقة أسهمت الرواية المعاصرة في إعادة فهم معطيات الخطابات الدينية، وتوضيح جوهر البعض من الديانات والغامض منها وغير المفهوم، والدعوة إلى إعمال العقل في المحرف والمتعرض للتشويه، وفتح باب الحوار للشعوب والإنسانية جمعاء.

ولقد استثمرت خولة حمدي الكثير من معطيات الخطاب الديني (الإسلامي) في روايتها (غربة الياسمين) وإن كان العنوان لا يوحي على الإطلاق بوجود هذا النوع من الخطابات في ثنايا الرواية، ولكنه تجلى من خلال (الشخصيات والأحداث) وتوضيحها الصراع بين (الأنا والأخر) كمحاولة منها

لاستكناه جوهر وحقيقة ذلك الصراع وأساسه المتين هو الاختلاف العقائدي، وهذا ما اتضح من خلال أحداث روايتها وشخوصها.

2.أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على ملامح تجليات الخطاب الديني في رواية غربة الياسمين ، وإن كانت هذه الأخيرة قد جاءت محملة بكثرة بهذا النوع من الخطاب، ولكنه لم يشكل ملمح ضعف في الرواية بل على العكس لقد كان أساس جماليتها وشكل رؤية فنية خاصة بها، وهذا باستثمار تقنيات الرواية العديدة.

واستنادا إلى السياق، يمكن طرح الإشكال الآتي: كيف تمظهر هذا النوع من الخطابات في الرواية ؟ و ماهي أهم التقنيات التي وظفتها الروائية للتعبير عن هذه النوع من الخطابات وجعلها ملمح فني من خلال اللغة والأحداث؟

ولعل هذه الإشكالية جديرة بالطرح وحقيق أن أجعلها استهلالا لأتحدث من خلاله في هذا البحث الموجز عن المباحث التالية:

3. مفهوم الخطاب الديني.

1.3. أشكال تمظهر الخطاب الديني في رواية غربة الياسمين.

أولا. مفهوم الخطاب الديني.

ارتأينا قبل أن نتفحص هذه الظاهرة وتجلياتها الجمالية والفنية في الرواية أن نستهل دراستنا بلمحة موجزة عن الخطاب الديني وذلك قصد الوقوف على المفاهيم التي لحقت بالمصطلح قبل الخوض في التحليل الجمالي ورصد مظاهر فنيته، أي ما الذي يعنيه الخطاب الديني؟

في البداية تجدر الإشارة بنا أن معنى الخطاب لغويا مأخوذ من الفعل: (خطب، يخطب، خطابا) بمعنى حدث الناس وألقى عليهم كلاما، ويقال: خاطب الناس أي وجه إليهم خطابا شفاهيا أو مكتوبا ومنه الخطب" (ابن منظور ، الصفحات 1194- 1195)، ويشير مصطلح الخطاب في الدراسات المعاصرة إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا (كتابة ورسم) أو ملفوظا (مشافهة ونطقا)" (أرويلي و البازعي، 2000، صفحة 89)، وهذا المفهوم لم يتزحزح عما وجدناه عند الناقد بينيفيست

الذي يقر في هذا الصدد بأن الخطاب: "هو كل لفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدفه التأثير على الثاني بطريقة ما، وقول هاريمان وستورك إن الخطاب نص محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية، تصدر من متحدث فرد يبلغ رسالة ما " (إبراهيم، 1999، صفحة 18).

وإن كان هذا المفهوم منبثق عن الدراسات اللسانية والبنيوية، وأما في المنظور الفكري فإن معناه كل ما له علاقة بديانة سماوية ما.

وليس من قبيل المصادفات في معظم الديانات ربط ماهية الخطاب الديني بالوعظ والإرشاد والدعوة للتخلي عن الملذات الدنيوية، والإقبال على العبادات والطاعات المتنوعة لنيل رضوان الله عز وجل، وهذا يعدّ من أهم خصائصه الظاهرة، وأما لو خصصنا الخطاب الديني الإسلامي لاختلفت المفاهيم والخصائص على اعتبار أنّه آخر الديانات السماوية، وهو جامع شامل لكل الرسالات التي سبقته ومتم لها، ومن خلال الخطاب الديني القرآني يتضح لنا بأنّ الأساس الوجودي للإنس والجن هو عبادة الله عز وجل وتوحيده، ومن هذا يتضح لنا بأنّ جوهره أعمق من مجرد (خطبة الجمعة والعيدين، وصوم شهر رمضان، وأداء فريضة الحج ومناسكه) وهو أوسع من (لغة القرآن و أسلوب الحديث النبوي) فهذا الكنه قادر على احتواء كل البشرية، وخصوصا ما دام جوهره الحقيقي هو: (المعاملة وحسن الخلق)، وهو خطاب مؤثر يحاول مخاطبة كل العقول، واحتواء كل الأجناس، وشكل هذا النوع من الخطابات عنصرا مهما في بنية الرواية على اعتبار أن التراث الديني يشكل جزء من ثقافة الفرد العربي.

ثانيا. أشكال تمظهر الخطاب الديني في رواية غربة الياسمين:

لقد وظفت الروائية خولة حمدي في روايتها (غربة الياسمين) الخطاب الديني من خلال محاولتها رصد ما يعيشه المسلمون في بلاد الانفتاح على الديانات والمعتقدات، وتوضيح أهم المضايقات التي يتعرض لها من يدين بالإسلام وتجلى هذا في الرواية واضحا من خلال مظاهر عديدة ومن أهمها:

أ. الفرق بين المجتمع الإسلامي و المجتمعات الغربية: لقد جسدت هذه الفكرة ورصدتها من خلال أهم شخصية في الرواية وهو الدكتور (عمر الرشيدي) وتأمله الفرق بين منبته والدولة التي هاجر إليها وهذا" حين وصل فرنسا منذ سنوات اصطدم بالفرق الشاسع بين المجتمع المتفسخ أخلاقيا في مدينة

غرونوبول التي درس فيها وليون التي يعمل بها منذ سنة واحدة والمجتمع المحافظ الذي خلفه وراءه في مدينة مراكش المغربية فوجئ حال خروجه للشارع لأول مرة بما تلبسه الفتيات من خرق شفافة وملابس مسرفة في القصر تكشف أكثر مما تستر، رغم أن بوادر الانفلات بدأت تظهر على بنات مدينته المبهورات بالمجتمعات الغربية المتقدمة، لكن البون شاسع بينهن وبين القنابل البشرية التي تتجول في شوارع ليون صدمته مشاهدة العشاق في كل زوايا يجاهرن بالفجور، و مرأى السكارى يترنحون أناء الليل وأطراف النهار" (حمدي، صفحة 28)، وإذا ما تأملنا هذا النص وجدناه يكشف عن مقارنة بين العالم الإسلامي- مراكش المغربية - المحافظ، والعالم الغربي المتحرر- فرنسا- ولقد استثمرت الروائية تقنية الوصف (خرق شفافة، قنابل بشرية، ملابس مسرفة في القصر) لتبيين الاختلاف الكائن.

وتواصل الرواية تبيين صور الاختلاف بين العرب والغرب من خلال نفس الشخصية فهو "لم يعدّ يدري أين يوجه بصره تحاصره الفتن من كل جهة اللافتات الإشهارية، واجهات المحلات وحتى المعلقات في وسائل النقل والصور في المجلات والجرائد اليومية، كلها تنضح فتنة وتنطق بما وصل إليه ابتذال الجسد في المجتمع الغربي – الأنثوي والذكوري- على حد سواء رغم مرور السنوات واحدة إثر الأخرى فإن حواسه ترفض أن تتعود على تلك المشاهد وتأبى أن تتقبلها كجزء من الحياة اليومية " (حمدي، صفحة 24)، فكان محور الاختلاف هنا هو: اللباس فعند العرب (محتشم) وأما الغرب فقد وصل التحرر في هذا الجانب إلى أوج صوره وهو ما عبرت عنه الرواية بـ: (ابتذال الجسد).

ب. **الحجاب والنظرة السلبية له:** يعدّ لباس المرأة المسلمة وهو فرض عين عليها حسب ما ورد في كتاب الله عز وجل وبالذات في سورة النور، وأما في الرقعة الجغرافية التي دارت فيها أحداث الرواية (فرنسا) فلم يكن الحجاب لباس دينيا وإنما لباس طائفي، ولكن قبل أن تصور الروائية معاناة المرأة المسلمة في البلاد الأجنبية وقفت عند جانب من معاناتها في البلاد العربية وموطنها (تونس) التي حاربت الحجاب وتاريخ انطلاق معاناة المرأة المحجبة هناك، وتجلى هذا من خلال فقرات عديدة ومن أوضحها" التضييق على المحجبات كان وما يزال رياضة وطنية يمارسها رجال الشرطة بكثير من المتعة في الشوارع والمؤسسات العامة والتعليمية ويطبقها أصحاب المؤسسات الخاصة عن خوف أو تخاذل، كل شيء بدأ في عهد الرئيس

السابق الحبيب بورقيبة حين صدور المنشور 108سيء الذكر سنة 1981م، والذي وصف فيه الحجاب بـ: (اللباس الطائفي) غير متناسب مع عادات البلاد وتراثها، توالت منذ ذلك الحين حملة التنكيل بالمحجبات فتشتد عليهن القبضة الأمنية حينا، وترتخي حينا لتعاود الضغط مرة أخرى كلما جد جديد في الساحة السياسية" (حمدي، صفحة 19)، فهذا النص يحوي على قانون مسن في بلد عربي إسلامي يحارب الحجاب ويقمع المحجبات.

ويزيد نص ثاني في من تدعيم هذا الموقف من خلال بطلة روايتها وبالذات لما اتخذت ياسمين قرار ارتداء الحجاب كان عليها "أن تقاتل كل يوم من أجل حقها في درء شعرها عن الأعين، وتلعب دور التحري لتحديد مواقع دوريات الشرطة وأوقات مرورها، وتراوغ وتتحايل على الحرس الجامعي لتحضر ما تحتاجه من الحصص حتى لا يتم طردها أو تحرم من اجتياز الاختبارات، وتضع أحذية رياضية تمكنها من الانطلاق بالسرعة القصوى حين تصلها إشارة الخطر، وتتزود بأوشحة إضافية لحالات الطوارئ حين تضطر إلى ترك وشاحها على مكتب رئيس مركز الشرطة أو عميد الجامعة، لا لم يكن الحجاب بالنسبة إليها وأخواتها اللواتي اخترن طريقها مجرد قطعة قماش تغطي ما تغطي، وقد تكشف عن مقدمة الرأس أو الأذنين أو النحر، كان خيارا مسؤولا (قناعة ومنهاج حياة) ولم تثنها المعرقلات بل زادتها إيمانا" (حمدي، صفحة 19)، فالتونسية لم تعدّ لها حرية اختيار ملابسها فصارت المحجبة تحت ضغط ورقابة رجال الشرطة.

وإن كان لبس الحجاب في بلاد المسلمين ليس بالأمر الهين فإنه يزيد صعوبة بالنسبة لبلاد الحرية والمسنة هي الأخرى قانون (منع الحجاب وحضره) وتجلى هذا في صور عديدة منها (حرج أخويها من لباسها) وهذا لما" دنت لتعانقهما في اشتياق كم بديا طويلي القامة لم يخف عليها برودهما الغريب وابتسامتهما المحرجة، هل هو (تأثير الحجاب)" (حمدي، صفحة 15)، فهذا الحوار الداخلي يوحي بالكثير من الإيماءات والإشارات المعبرة عن الرفض الذي تعانيه المرأة المسلمة في الأماكن العامة في فرنسا.

ولقد تجلت العنصرية الغربية في صورة جلية من خلال مقابلة تمويل بحثها الجامعي(ياسمين) واستفزاز الموظفة إياها من خلال قولها: لا أعلم بالضبط ما هي القناعات التي تملي عليك هذا اللباس بالذات، لكن في إطار العمل من الممكن أن يطلب منك المدير الالتزام بزي رسمي في المكتب أمام قانون

داخلي للشركة يرفض غطاء الرأس، وقناعات شخصية تملي عليك ارتداءه أيّهما ترجحين؟" و لترد ياسمين: " كنت سألتزم بلباس رسمي لائق يحترم بما أمكن قوانين الشركة من دون التنازل عن الحجاب؟ لو وضعتك اللجنة أمام خيارين: (الحجاب أو تمويل بحثك) هل ستضحين بمستقبلك المهني وترفضين فرصة نادرة من آجل قطعة قماش؟ "وإن كان قد حسم أمر (التنازل عن الحجاب والقبول بالتمويل) نظرة ياسمين المصممة وإيماءاتها الصامتة، رغم العبرات المنذرة بهطول قريب، قالت الباحثة في ضيق وهي تجمع الملف وتضعه جانبا كأنّها تجمع أمنيات ياسمين كلها وتنحيها: سنفعل ما بوسعنا لكن لا تندمي إذا كان موقفك هذا حجر عثرة في طريق مستقبلك" (حمدي، صفحة 16)، فهنا مقايضة مباشرة من الموظفة لياسمين (إما الحجاب أو تمويل بحثها).

ومن خلال الرواية نقف على فكرة (الحجاب والتقييد) من خلال حوار ياسمين مع مريضة نفسية كانت تحاول علاجها وهذا لما صرحت: "حين أنظر إليك أشعر بأن حياتي ذهبت سدى وأن نضالات المرأة الفرنسية لتصبح ندا للرجل ذهبت مع الريح في حين أقاتل وغيري من أجل حرية المرأة والمساواة مع الرجل على جميع الأصعدة أنت ومثيلاتك تكرسن فوقية الرجل بقبولكن التواري خلف أكوام الأقمشة كأنّك بضاعة يخشى عليك الغبار" (حمدي، صفحة 141)، فهذا الحوار على درجة كبيرة من الواقعية والمنطقية التي فرضها الغرب على الحجاب أو غطاء الرأس وأنّه قيد في سبيل حرية المرأة وتقدمها الفكري والثقافي وهو رمز للتخلف والسلطة الذكورية عليها.

ولقد استطاعت الروائية أن تكشف عن ضبابية هذه الفكرة وعدم مصداقيتها من خلال توضيح فكرة ارتباط ارتداء الحجاب بـ: (السترة والحياء) من خلال موقف ياسمين حين ردت عليها "لكل فريق نضالاته فإن كنت قد ناضلتِ من أجل حرية المرأة في التعري من ثيابها فأنا أناضل من أجل حريتي في ارتداء ما أشاء لماذا تقولين بأنني أخضع لسلطة الرجل حين أختار هذا اللباس؟ لماذا لا يكون خيارا شخصيا نابعا من إيمان لا دخل لبشر فيه" (حمدي، صفحة 142)، وجمالية الخطاب الديني هنا تجلت من خلال الحجج والأسئلة التي طرحتها شخصية ياسمين على المريضة فإن كان التعري والحرية نضال فإن ارتداء الحجاب والستر أشد نضالا.

ولتزداد السيطرة الغربية وفرض مركزية موقفه من خلال عدم اقتناع محاورتها حين "هزت روزلين رأسها في عدم اقتناع وهي تقول: في ثقة لا أصدق أن شخصا عاقلا يختار السجن ويترك الحرية، وأنت يا صغيرتي سجينة العادات والتقاليد التي أصبحت جزءا منك حتى لم تعودي ترين تأثيرها عليك، ذلك المجتمع الرّجالي الذي نشأت فيه زرع فيك الخوف والقناعة بالوضع في حين أن هناك على الضفة الأخرى حياة أفضل" (حمدي، صفحة 142)، فلقد تولدت في الفكر الغربي خضوع المرأة الشرقية والعربية للسلطة الذكورية وعدم قدرتها على اتخاذ قرار يخص لباسها، وإن كان هذا الفهم المغلوط متولد من الارتباط والخلط بين الدين والعادات والتقاليد.

ولكن حقيقة الحجاب والدين ليست هذه الأفكار المرتبطة بالتقييد إنّما الدين معناه (الراحة والطمأنينة) والحجاب جزء من الدين وبالتالي فإنه جزء من(السكينة والأمن) وهذا ما عكسه موقف ياسمين لما ردت عليها "أنا أناضل من أجل حريتي في اختيار لباسي لأنني أؤمن بالله الذي أمرني بالحجاب، حين تضيق بي الدنيا وتشتد علي الضغوطات ألجأ إلى الله فأبث إليه حزني، وأستمد من ديني الطاقة التي تدفعني إلى الأمام، في المقابل أنت تناضلين من أجل الحرية المطلقة والنقية من كل قيود سنسميها (عقيدة الحرية) وحين وجدت نفسك في ظروف قاسية لماذا لم تعودي إلى تلك المبادئ التي تعشين من أجلها لتستمدي منها الشجاعة على مواصلة الطريق؟ لماذا اخترت الانتهاء من الحياة مع أنّه قرار لا رجعة فيه ولا يترك المجال لفرصة جديدة، أليست لديك ثقة كافية في معتقداتك" (حمدي، صفحة 142)، فلقد تداخل هنا الجمال الديني مع القناعات الشخصية من خلال الاقتناع بالحجاب واللجوء لله عز وجل وقت الضيق والحزن فهو من يفرج كرب والهم عن عباده المؤمنين، وأما أهل الحرية واللاعقيدة فأمام ضغوطات الحياة لا يملكون خيارا سوى الانتحار.

وهذه النظرة التي تربط بين الحجاب والسلطة الذكورية تبدت من خلال موقف رجولي غربي الذي كانت "بالنسبة إليه كل امرأة تغطي جسدها هي ضحية رجل فرض عليها سجن الثياب والقماش ولكنها تسلية رجل آخر ترتكب بين يديه كل الممنوعات حالما تغفل عن الأعين" (حمدي، صفحة 114)، أي ما يعني الحجاب الظاهري وممارسات الممنوعات في الخفاء، وإن كان هذا الصنف موجود لكنه لا يمثل إلا

نفسه وليس الإسلام الفعلي والحقيقي باعتبار أنه آخر الديانات السماوية ومقوم لما سبقه، فهو أمر المرأة بالحجاب وعدم إظهار زينتها لدرء الفساد والفسق عن المجتمع.

وفي الرواية وردت فكرة الاستهانة بالمرأة المحجبة لعدم مواكبتها للموضة من خلال موقف باتريك من ياسمين ونعته لها بعاملة النظافة، ولترد ياسمين بشيء من الانكسار الداخلي في قرارة نفسها" هل كان هندامها مهملا إلى هذا الحد؟ أم أنه يفترض بكل من تلبس حجابا أن تكون عاملة تنظيف؟ لم تكن ردة فعلها احتقارا لعاملات التنظيف أو استهزاءً بهن لكنها لم تصدق أن يتم الربط المباشر والتلقائي بينها وبين تلك المهنة" (حمدي، صفحة 55)، فكأن الحجاب عائق أمام الثقافة والرقي المعرفي وكل محجبة لاشك تعمل في مجال التنظيف في كبريات الشركات الفرنسية.

وكما وقفت الروائية في المتن الحكائي على معاناة المرأة المسلمة في مقابلات العمل وهذا ما عكسه حوار التالي:

باتريك: هل صحيح أنك قبلتها؟

رفع دافيد عينيه وعلى شفتيه ابتسامة غامضة، ثم قال في هدوء مستفز: مرحبا باتريك عم تتحدث؟

تلك الفتاة التي تلبس غطاء الرأس رأيتها تخرج من مكتبك وقالت: بأنك وافقت على عملها هنا.

آه الأنسة ياسمين: إنها شخصية نادرة وآمل أن تنجز بحثا مميزا.

هتف باتريك في انفعال: أنت جاد؟ هل نظرت إليها جيدا قبل أن تتخذ قرارك؟

حدجه دافيد بنظرة طويلة ثم قال: لم أنظر فقط إلى شكلها بل إلى سيرتها الذاتية، إجازاتها، تجاربها وتحدثت إليها أيضا وأظنها الكفاءة اللازمة لإنجاز البحث المطلوب" (حمدي، صفحة 51)، فكأن الحجاب يعني عدم مقدرة وكفاءة الباحثة ويعني التخلف والرجعية لولا رجاحة عقل السيد دافيد الذي أقر بما تملكه الباحثة من مؤهلات علمية وثقافية واختلاف كفيل أن يجعل منها الفرد المبدع في (دراسة ظاهرة الانتحار وارتفاعها في المجتمعات الغربية).

ج. الزواج والعلاقة بين الرجل والمرأة: يعدّ هذا الرابط مقدس وهو (ميثاق غليظ) بين الرجل والمرأة ولكن في مجتمعات الحرية واللاعقيدة يمكن أن توجد علاقة بين الاثنين مع غياب هذا الميثاق وهذا ما انعكس في الرواية من خلال شخصية (رنيم شاكر) والرجل الغربي (ميشال) من خلال قوله: "أنت تريدين الزواج وأنا لست مستعدا له بعد، لا أريد علاقة تقيدني الزواج ليس إلا عقدا مكبلا وأنا أريد أن أحتفظ بحريتي حتى لا نعقد الأمور، وحتى لا يمل أحدنا الآخر" (حمدي، صفحة 8)، فهو يمثل نموذج للرجل الغربي المنفتح على العلاقات يرى في الزواج قيدا وكبح لحريته، وليس كما تراه هي (المرأة المسلمة) عنوان للحب والسكينة والاستقرار، علاوة على أن الزواج يعني (العفة).

وهذا ما تبدى من خلال رنيم التي ردت على شكل مونولوج الداخلي "هل يلومها حقا لأنّها حافظت على عفتها، واشترطت الزواج لاستمرار العلاقة بينهما؟ هل يتخلى عنها ببساطة لأنها ليست مثل غيرها من الفتيات اللواتي خالطهن؟ ليست رخيصة ولا بضاعة؟ " (حمدي، صفحة 9)، فهي نموذج عن المرأة المسلمة التي ترى أن الزواج سكينة واستقرار ورباط مقدس بين الرجل والمرأة ولا تقبل بشبه علاقة تربطها برجل أجنبي عنها خارج عن دائرة الزواج.

وفي خضم الأحداث تزداد الروائية تأكيدا على الخطاب الديني كتقنية في حركة السرد، حيث مزجته مع الأحداث وهذا حين عرض عليها نفس الرجل الزواج ولترد هي(لكنني مسلمة) نظر إليها باستغراب (ما الذي دهاها؟) أعلم أنك مسلمة أنت كذلك منذ عرفتك، هزت رأسها وكلمات ياسمين تترد في رأسها لكن المرأة المسلمة لا يمكنها أن تتزوج من رجل غير مسلم" حدق فيها في عدم استيعاب: ألم تكن هي التي أوجعت رأسه بحديثها عن الزواج ليلا ونهارا منذ أشهر قليلة؟ قال محاولا سبر أغوارها: تريدين مني التحول إلى الإسلام؟ هل هو اختبار إضافي لاكتشاف قيمتك عندي؟ قالت ببساطة وهي تهز رأسها: ليس اختبار إنها الحقيقة لا يمكنني أن أتزوجك وأنت على غير الإسلام لم أطلب منك التحول إلى الإسلام لأنني أعلم أنك لم تفعل لكنها ملاحظة أبديتها بشأن طلبك؟)" (حمدي، صفحة 99)، وجاء الخطاب الديني على شاكلة حوار داخلي وخارجي، وكذلك رفض لعرض الزواج فلا يجوز للمسلمة الزواج من غير المسلم، ويواصل هو اختبار جوابها فإن كانت تريد منه أن يتحول عن دينه واعتنق الإسلام لفعل لكنها كانت مصرة وردت بثبات بأنها (مسلمة لا يجوز لها الزواج من أجنبي)، وهذا الثبات اكتسبته من خلال معاشرتها ياسمين وحديثها عن علاقتها به وكيف انتهت بعدما تبرعت له بكليتها وطمأنتها قائلة " هل

تعلمين أن الله يحبك لأنه أراد لك النجاة من هذه التجربة دون الوقوع في معصية كبيرة، صحيح أنك فقدت كلية وهي ليست بالأمر الهين لكن علاقتك بميشال هذا كانت خطأ منذ البداية حتى ولو توجت بالزواج فهي خطأ لأن المرأة المسلمة لا يصح لها أن تتزوج غير مسلم" (حمدي، صفحة 87).

وكما تمظهر الخطاب الديني وموقف علاقة الرجل الأجنبي بامرأة أجنبية من خلال موقف (ياسمين) ورفضها المكوث في بيت (خالتي زهور).

واهتمت الروائية بالتعرض للخطاب الديني الذي ظهر هذه المرأة من خلال علاقة (ياسمين) بالدكتور (عمر الرشيدي) الذي نعتته مرارا بـ: (الغريب) " ذلك الغريب ماذا يكون بالنسبة إليها؟ وماذا تمثل هي بالنسية إليه؟ أصبحت ملحة أكثر من أي وقت مضى وأصبح عليها أن تجد لها إجابات سريعة" (حمدي، صفحة 75)، فتسلل هذا النوع من الخطاب إلى متن الرواية وأحداثها بشعور ومن دون شعور من الروائية.

ولقد ركزت على الخطاب الديني المعتدل المتبني روح الإسلام ومحاولة إبراز هويته من خلال علاقة (هيثم بصديقته لورا الفتاة الفرنسية التي أحبته ومن أجله اعتنقت الإسلام) ويتجلى هذا كثيرا في الرواية خاصة أثناء لقاءهما بياسمين وتقديم هيثم لها: لورا صديقة في العمل حديثة العهد بالإسلام وتحتاج إلى من يعلمها الدين، بدت علامات الدهشة على ياسمين وهي تمدّ كفها لتصافحها كانت قد توقعت كل شيء إلا هذه : أه حقا أنا سعيدة من أجلك حمدا لله على هدايتك للإسلام، سكتت ياسمين للحظات، كان بودها أن تقول كلاما كثيرا إنه لا يجوز رفع الكلفة بينه وبينها متعللا بتعلمها الدين وإن المرأة لا تتعلم الدين إلا على يد امرأة مثلها درءً للفتنة لكنها أحجمت لم يكن موقعها يسمح لها بإسداء النصائح" (حمدي، صفحة 117)، والغاية من هذا هو التوافق مع المتلقي والتجانس مع فكره الديني، والاقتراب من واقعه رغم أن الرواية ذات بعد خيالي.

د. العبادات: من الطبيعي أن تذكر العبادات في متن هذه الرواية ومن أهمها قراءة القرآن" وضعت على المنضدة القريبة كتابا ثم أضافت قبل أن تختفي إقرائي فيه كلما أحسست بالضيق، سيسري عنك ، استقامت رنيم في فضول ومدّت يدها لتناول الكتاب (كتاب قرآن)" (حمدي، صفحة 89)، فمعروف أن تلاوة الذكر الحكيم يخفف الوجع عن قلب صاحبه.

هـ. **الانتحار:** هذه الظاهرة التي غزت المجتمعات العالمية بوجه عام والغربية بشكل خاص، ولقد سلطت الروائية الضوء على هذه الظاهرة من خلال بطلتها ياسمين التي تعدّ رسالة دكتوراه في علم الاجتماع وكان

الظاهرة المتناولة (الانتحار) ورغم تدينها الشديد لكنها استقصت هذا الجانب من الدراسة لأن " البحث يجب أن يكون متماشيا مع خصائص المجتمع، إن تحليل الأسباب وتقديم الحلول يجب أن يخاطب عقل المتلقي ويقنعه حتى يكون ناجحا، إن تقديم الدين كحل في مجتمع يعم فيه الإلحاد سيعرضها للسخرية ويؤكد رئيسها كل الأحكام المسبقة التي يوحي بها شكلها وأشياء أخرى" (حمدي، صفحة 82)، فلقد حرصت الروائية من خلال شخصية بطلتها – ياسمين- أن لا تصبغ هذا الجزء بطابع ديني وهذا حتى تضفي طابع منهجي وعلمي وأكاديمي على بحثها ولكنها لم تفلح.

ولقد وظفت الروائية الخطاب الديني وبكثرة من خلال مخاطبة ياسمين للمريضة "لو ظننت أن الانتحار سيخلصك من حياة تافهة ويمنحك تذكرة إلى جنة الآخرة فأعلمي أن كل الأديان السماوية وأغلب الديانات الوضعية تحرم قتل النفس ولو حدثتك نفسك بإقدامك على عمل شجاع وتضحية جسيمة تمهد طريق الحرية لمن بعدك فالشجاعة الكبرى تكون بمواجهة ما يؤرقك ومحاولة تغييره بيديك ولسانك" (حمدي، صفحة 113)، فهذه الشخصية المركزية عرضت لنا العالم الذي رسمته الروائية، فهي تشكل الرؤية التي تريده شخصيتها المركزية وتأخذ بعدا ذاتيا، وذلك باعتبار أنّ شخصيته تمثل البؤرة السردية الأساسية من بداية الخطاب إلى نهايته.

حيث تتخذ هذه الشخصية في حوارها من الخطاب الديني منطلقا ومقصدا من أجل إرساء مجموعة من القيم والتأكيد على فظاعة الانتحار من خلال تقديمها حجج منطقية و واقعية تدعم موقفها هذا:" من الخاسر في النهاية أنا بإيماني بديني فيه حقوق و واجبات يعطيني من الاطمئنان بقدر ما أبذل من الطاعة ؟ أم أنت بإيمانك بعقيدة الحرية تلك ومع أول اختبار عسير في الحياة تنهار ثقتك في كل مبادئك السّامية وتختارين القطع النهائي" (حمدي، صفحة 143).

و. العلاقة مع الآخر: سعت الروائية دائما في سردها للأحداث أن توظف الخطاب الديني بمدلولات وألفاظ مختلفة ومنها (العلاقة مع الآخر)، من خلال علاقة الشخصية المحورية (ياسمين المسلمة)، مع أبيها وزوجة أبيها وأخويها(وهم على غير ديانتها) وهذا بعد " إقامتها في ليون مع والدها وأخويها عائلة لا تمت إلى الإسلام بصلة لم تكن في حاجة أن ترى بعينها ما عاينته ياسمين منذ وصولها لتدرك ذلك، فهي لم تنس – وأنى لها أن تنسى – أن تلك النقطة الخلافية كانت السبب المباشر لانفصالها عن كمال، لذلك فإنها جعلتها تلتقي زهور وذويها ربما لتذكرها أن إلى جوارها من يمكن أن تثق فيهم، وتعتمد عليهم في

وقت الحاجة مثلما اعتمدت هي عليهم في السابق في بداية مشوارها ولتطمئنها أنها ليست المسلمة الوحيدة على الأراضي الفرنسية " (حمدي، صفحة 59).

وتستمر خولة حمدي التركيز عليه في متون روايتها بل فسحت المجال الواسع لتشمل حتى العلاقة مع اليهود وهنا مارست شخصيتها المحورية استذكارا بالرجوع إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف تعامل مع جيرانه اليهود وهي" تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع اليهود، وهي لم تكن ترى اليهود أول مرة فهي تمر كل يوم بمدرسة يهودية حين تمضي من شقتها إلى محطة الحافلات ترمق بطرف حذر القبعات السوداء العريضة والضفائر الطويلة التي كانت تتدلى منها والكيبا الصغيرة التي يعتمرها الأطفال" (حمدي، صفحة 167)، ونقف هنا على وصف مادي لليهود المعروفين بقبعاتهم السوداء، و ضفائرهم الطويلة، والكيبا.

ز. **الإسلام والإرهاب:** لقد جسدت الرواية ببراعة هذه الثنائية الطردية في العصر المعاصر وفي المجتمعات الغربية فصارت من المستلزمات التي تستدعي حضور أحدهما الآخر ولقد " أصبحت هذه الكلمة متداولة ومتكررة تطرق مسامعها في أوقات مختلفة من الليل والنهار قضية شركة الكيميائيات كانت تشغل الرأي العام في نشرات الأخبار والبرامج الاجتماعية يحتل المنابر – خبراء في مسائل الشرق الأوسط ومذكرون مستشرقون يقدمون رؤية ضيقة على المجتمع المسلم ويدعون الإلمام بحالات مشابهة (الإرهابي الأصولي المدنس) متحدثين عن الدكتور عمر الرشيدي" (حمدي، صفحة 143)، فهذا من الأحداث المهمة التي شكلت البنية السردية للرواية وهي اتهام الدكتور عمر الرشيدي بالتفجير الإرهابي في حين هو بريء ولكن تم إلصاق التهمة به لأنه مسلم وللتزامن التفجير مع علو صوته وصيحاته مكبرا (الله أكبر) بعد نجاح تجربته عن (الاندماج البارد)، وهذا ما بينه الحوار الذي كان بين رجال الشرطة وحارس المختبر.

"قلت: إنك سمعت الدكتور يصلي، نعم أعتقد أنه كان يصلي سمعته يقول كلمات يرددها المسلمون في صلاتهم أثارت تلك النقطة انتباه المحققين : إذن الدكتور الذي كان في المختبر مسلم هذا يغير الكثير، لا أذكر الكلمات بدقة لكنني أقطن في حي شعبي ولدي جيران مسلمون منذ سنوات، وقد رأيتهم يصلون مرات كثيرة في الشوارع يوم الجمعة غالبا وفي النداء الذي كان يرددونه يشبه الكلمات التي سمعتها هذا المساء– الله أكبر– نعم تلك هي الله أكبر" (حمدي، صفحة 86).

ولكن الأمور لم تسر كما خطط لها فقد تم حدوث انفجار خلف قتلى وترك عمر جريح ومدان في قضية إرهابية وتتضح من خلال تسلسل أحداث الرواية أنه بريء وتم إلصاق التهمة به ولكن لا يتم إثبات براءته لأن ثلة من المخترعين معه قرروا الاستحواذ على اختراعه و وضعه في قفص الاتهام.

ولقد أسهبت الروائية في هذه النقطة فاسحة المجال للصوت السردي لعمر الرشيدي أن ينفس عن غصبه" يعتقدون أن كل من يقول الله أكبر يهم بعملية انتحارية وان كل مسلم ملتزم هو بالضرورة مشروع إرهابي" (حمدي، صفحة 93).

وفي المقابل سمحت الروائية أن تتعالى في المتن الحكائي الأصوات المتطرفة الداعية لمعاداة الإسلام والمسلمين من خلال مظاهرات في العاصمة باريس مطالبة الحكومة بالتالي:" أوقفوا الإرهاب- أوقفوا مد الهجرة المغاربية والإفريقية نظفوا مجتمعاتنا من الحثالة المسمومة" (حمدي، صفحة 144)، وبهذا فقد فتحت الباب للنقاش وتجاذب الأفكار ولم تفرض موقفها على المتلقي إنما فتحت الباب على مصراعيه وذكرت كل الأفكار السوداء والسلبية المنتشرة عن الإسلام والمسلمين.

5. أهم النتائج المتوصّل إليها: على الوتيرة السابقة كانت تمظهرات الخطاب الديني في رواية غربة الياسمين، حيث بينت فيها:

الروائية العديد من القضايا (الحجاب، الانتحار، الإرهاب، الصراع مع الآخر وأزمة الهوية، مركزة على الخطاب الديني الذي تفقهت فيه الروائية تفقه شديد مركزة على النصوص الشرعية (القرآنية، والسنة النبوية) فالتوغل فيه ليس بالهين بل يتطلب دراية وإلماما بالموضوع.

لم تكن الغاية من ذكر الخطاب الديني الوعظ والإرشاد إنما كان مسعى الروائية هو محاربة التضليل والداعين له ممن يحاربون الإسلام وكل ما يمت له بصلة.

سخرت الروائية مختلف الآليات الفنية للتعبير عن هذا الخطاب كالحوار والسرد والحكي والاستباق والاسترجاع وغيرها من التقنيات.

وركزت الروائية على الخطاب الديني المعتدل المتبني روح الإسلام وجوهرها الفعلي وليس الادعاءات والمغالطات الكاذبة التي يروج لها الإعلام أو الشخصيات الفاعلة والمؤثرة، وسعت لتبين للمتلقي وجهة النظر المعتدلة عنه.

كان توظيف الروائية للخطاب الديني خادم لبنية النص الروائي وليس مفروضا وهذا ما شكل منه مصدر جمال، ولقد أبدت الروائية من خلال شخوصها قدرتها على فهم الأحداث المحيطة بها الظاهرة، أو

تلك التي تحاكى في عالم الخفاء والتأقلم معها ومع سياستها التضليلية وكشفت عن روعة الخطاب الديني للمتلقي المسلم وغير المسلم.

وبهذه الطريقة فقد فرضت الرواية نفسها مكانا لا يمكن تغييبه بين القراء في العالم العربي ولقت صدى إيجابيا بين مختلف الطبقات، وهذا ما دفع بالروائية لأن تكتب (**ياسمين العودة**).

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

6. قائمة المراجع:

ابن منظور . (بلا تاريخ). *لسان العرب" مادة خطب"* ، *ج1* ، *تحقيق عبد الله علي الكبير وأخرون*. مصر: دار المعارف.

خولة حمدي. (بلا تاريخ). *غربة الياسمين*،. كيان للنشر والتوزيع.

صبحة أحمد علقم. (2006). *تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (الدرامية أنموذج)8* (المجلد 1). المؤسسة العربية للدراسات.

عبد الله إبراهيم. (1999). *الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة* (المجلد 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عبد الملك مرتاض. (1990). *في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)*. عالم المعرفة.

ميجان أرويلي، و سعد البازعي. (2000). *دليل الناقد الأدبي* (المجلد 2). المغرب: دار البيضاء.